المؤتمر الدولي الثاني المشترك

مخطوطاتُ القرنِ السابع

علومٌ وأعلامٌ

أ. د. محمود مصري

في تظاهرةٍ احتفاليَّةٍ دوليَّةٍ أقامت دار المخطوطاتِ في وقف السلطانِ أحمدَ بإستانبول بالتعاون مع جمعيَّة الراسخون في العلم الكويتيَّة وجامعتي أولوداغ/ بُورصة، وطرابلس/ لبنان؛ المؤتمرَ الدوليَّ المشترك الثاني: مخطوطاتُ القرنِ السابعِ الهجريّ: علومٌ وأعلامٌ، في الفترة بين ٣-٢٠٢١/١١/٦م، بمشاركة ٤٨ عالمًا وباحثًا من ٢٠ دولة. وقد توزَّعت جلَساتُ المؤتمرِ بين مدرسة السلطانِ أحمدَ بإستانبول (في أوَّل يومين)، والمدرسةِ المُراديَّةِ ببُورصة (في اليومين التاليين).

حمل اليومُ الأوَّلُ عنوانَ: الدخول إلى عالَم القرنِ السابعِ، واستهلَّت الجلسةُ الافتتاحيَّةُ (الأولى) التي ترأَّسها المديرُ العامُّ للدار (رئيسُ المؤتمر) أ. د. محمود مصري؛ بتلاوةٍ مباركةٍ من كتاب الله تعالى، تلتها كلماتُ المنظِّمين والرعاة.

تحدَّث المدير العامُّ للدَّار عن المشروعات الكبرى في دار المخطوطات أوَّلًا، ثمَّ انتقل للحديث عن فكرة المؤتمرِ السنويِّ ضمنَ تلك المشروعاتِ، مبيِّنًا أهميَّةَ المؤتمرِ، ولماذا كانت العناية الخاصَّةُ بالقرن السابعِ للهجرة، مشيرًا إلى أنَّ المؤتمرَ يقع ضمنَ سلسلةٍ من المؤتمرات حولَ هذا القرنِ العظيم، بدأتْ في الجزائر سنة ٢٠١٨م بمؤتمرٍ عامٍّ عنوانُه: مخطوطاتُ القرنِ السابعِ: بين البحث الببليوغرافيِّ والتقويمِ الحضاريِّ، وستستمرُّ بعون الله لسنواتٍ قادمة، يُخصَّص كلُّ مؤتمرٍ منها لحقلٍ معرفيٍّ مستقلٍّ، ويتنقل بين الدُّول شرقًا وغربًا، وأَعرب عن أمله في أن تتكلَّل سلسلةُ المؤتمراتِ تلك بتأليف موسوعةِ «الحضارة الإسلاميَّة في القرن السابع الهجريِّ»، ثمَّ تحدَّث عن الحدود الزمنيَّةِ لهذا القرن، وعلَّل امتدادَ مجالِ القرنِ في بحوثِ المؤتمر ليشمَل كلَّ من عاش ولو سنةً واحدةً فيه، وختم كلمتَه بشكر الشركاءِ في رِعاية مؤتمرِ الدَّار السنويِّ وتنظيمِه.

تحدَّث بعد ذلك مديرُ معهدِ نور الهُدى العالميّ الأستاذُ الشيخ فراز ربَّانيّ عن أهميَّة المؤتمر بالنسبة للبرنامج التعليميّ في معهد نور الهُدى العالميّ ومؤسَّسةِ سيكرز. وفي كلمة وقفِ السلطان أحمدَ عبَّر الأستاذُ إسماعيل حقّي تاومان رئيسُ الوقف عن سعادته بإقامة هذا المؤتمر، وباحتضانِ وقفِ السلطان أحمدَ لأعمال ونشاطاتِ دارِ المخطوطات، ثمَّ ألقى مديرُ مجلس إدارة جمعيَّةِ الرَّاسخون في العلم الأستاذُ الدكتور ياسر عجيل النَّشميُّ كلمةً عبَّر فيها عن أهميَّة التعاونِ والشراكةِ بين الدار وجمعيَّةِ الراسخون، وقد كان أوَّلَ ثمارِهما هذا المؤتمرُ السنويُّ، وخُتمت الكلماتُ بكلمة الأستاذِ الدكتور رأفت ميقاتي رئيسِ جامعةِ طرابلس، تحدَّث فيها عن أهميَّة برنامج الماجستير في علوم المخطوط، الذي تقيمه الجامعةُ بالتعاون مع دار المخطوطات.

أمَّا كلماتُ المشاركين فكانت على النحو الآتي:

- الباحثون والمؤسَّسات العلميَّة: أ. د. عبد الله الغنيم
- هيئة الأمناء: أ. د. فيصل الحفيان

- الوفود: أ. د. مُراد الريفي

ثـمَّ كانت كلمةُ ضيفِ الشَّرف الشيخِ محمَّد عَوَّامة، تلاها تكريـمُ الدارِ فضيلتَه، وسعادةَ الأستاذِ الدكتور فخرَ الدين قَبَاوَة.

أمَّا الجلسةُ الثانية فكانت بعنوان: (القرنُ السابع: الإطارُ العامُّ)، واختُتم اليومُ الأوَّلُ بالجلسة الثالثة بعنوان: التاريخُ والتراجِمُ: إسهاماتٌ وببليوغرافيا وتقويـمٌ.

وحمل اليومُ الثاني عُنوانَ: علومُ الأصولِ والفروع، وكانت جلستُه الأولى بعنوان: علومُ القرآن: التفسيرُ والقراءاتُ والرسمُ، والثانية بعنوان: الحديثُ وعلومه: توثيقٌ ونفائسُ ومُوازناتٌ، والثالثة بعنوان: الفقهُ وأصولُه: مناهجُ وببليوغرافيا ومُوازناتٌ.

وحمل اليومُ الثالث عنُوانَ: علومُ العرفانِ والأكوان، وكانت جلستُه الأولى بعنوان: التصوُّفُ والكلامُ: مصطلحاتٌ وأعلامٌ وتحقيقاتٌ، والثانية بعنوان: اللغةُ والبلاغةُ والمنطقُ: مناهجُ وإسهاماتٌ ومُوازناتٌ، والثالثة بعنوان: العلومُ الكونيَّةُ: أعلامٌ ومصنَّفاتٌ ومُوازناتٌ.

وحمل اليومُ الرابعُ عُنوانَ: علومُ المخطوطِ والمكتباتِ، وكانت جلستُه الأولى بعنوان: تراثُ العلماءِ والمكتباتِ: بيبليوغرافيا وأعلامٌ، والثانيةُ بعنوان: علومُ المخطوطِ: فنونٌ وكوديكولوجيا ومكتباتٌ. وتضمَّنت الجلسةُ الختاميَّةُ (الثالثةُ) محاضرةَ الأستاذ الدكتور محمد جلال عبد الوهَّاب، بعنوان: تهافتُ الرُّؤيةِ الاستشراقيَّة لتاريخ العلمِ الإسلاميّ، وكلماتِ المنظِّمين للمؤتمر، والتَّوصياتِ، وتوقيعَ الاتِّفاقيَّات، وتوزيعَ الدُّروع على المؤسَّسات المشاركة.

وأُقيمت الجلساتُ في اليومين الأخيرين في المدرسة المُرادية ببورصة (متحف القرآن الكريم والخطوط).

وقد رافقَ المؤتمرَ عددٌ من الفعاليَّات ابتدأت بدورةٍ علميَّةٍ حولَ «تشريحِ الكتابِ من المخطوط إلى المطبوع»، وانتهت بدورةٍ عمليَّةٍ تطبيقيَّةٍ حولَ «ترميمِ المخطوطات»، وبينَهما أُقيمت ندوةٌ على هامش المؤتمرِ بعنوان «عواصمُ المخطوطِ العربيّ: القاهرة».

وكذلك صاحبَ المؤتمرَ معرضانِ؛ الأوَّلُ: مخطوطاتُ القرنِ السابع، والثاني: خطوطُ العلماءِ في القرن السابع.

وعلى هامش المؤتمرِ أُقيم حفلٌ لاستقبال الضيوفِ أحيتْهُ فرقةُ دارِ الموشَّحات في إستانبول في مولوي خانة «البهاريَّة»، وعُقِد الاجتماعُ السنويُّ لهيئة أمناءِ الدار، وخُتمت أيامُ المؤتمرِ بجولةٍ سياحيَّةٍ في مدينة بُورصة.

تكريمُ عَوَّامة وقَبَاوَة

اختُتِمَت الجلسةُ الافتتاحيَّةُ للمؤتمر بتكريم عالِمَين جليلين، كان لهما شأنٌ عظيمٌ في خدمة تراثِ الأمَّةِ المخطوطِ، تحقيقًا ودرسًا وتعريفًا ونشرًا.

ابتدأ الشيخُ حفظه الله كلمتَه بذكر قولةِ الصدِّيقِ الأكبرِ رضي الله عنه: اللهمَّ أنت أعلم بنفسي منِّي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واسمح عنّي ما يظنُّون. يقولها عندما يُمدح.

ونزَّلها على نفسه، واعترف بتقصيره، وطلب من الله المغفرةَ، ثمَّ حثَّ طلابَ العلمِ على هذا الدعاء: اللهم دلِّني على أخطائي وخطيئاتي، ووفِّقني لتداركها.

وأضاف الشيخ: إن تراثَنا يحتاج إلى ثلاثةِ أعمالٍ: إحياءٍ وتقويمٍ وتجديدٍ، إحياءٍ لما لم يُطبع بعد، وتقويمٍ لما طُبع وفيه أخطاء، وتجديدٍ لما طُبع قديمًا ويحتاج إلى طباعة معاصرةٍ. وشرحُ هذا يطول.

وأزيد الآن ملاحظتين: الأولى أن يكون هذا العملُ (الإحياءُ والتقويمُ والتجديدُ) بأيدي أمينةٍ مخلصةٍ متقِنةٍ متخصِّصة، وأهمُّ قضية هي الأمانةُ والتخصُّص.

والثانية: علماؤُنا يكتبون لسدِّ حاجةٍ، فلا يليق بنا أن نكتب في بحثٍ أكلَ الدهرُ عليه وشرب. فهذا لا يجوز والأمَّةُ بحاجةٍ إلى أمورٍ كثيرةٍ وكثيرة.. منها ما يتعلَّقُ بالعقيدة، وأنتم تعلمون أنَّ من الناس من يتَّخذ ذريعةً للتَّشكيك بالسنَّة النبويَّة: بأنَّ تدوينَ السنَّة تأخَّر، وهناك أناسٌ يُشكِّكون بالسنَّة يقولون: إنَّ السنَّةَ التي وصلَت إلينا

ليست كما نطقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، لأنَّكم تجوِّزون الروايةَ بالمعنى، فهذا الراوي يروي هذه الكلمةَ بالمعنى، وهذا يروى هذه الكلمةَ بالمعنى، فصار الحديث خليطًا من كلام فلانٍ وفلان، مع كلام رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

فيجب أن أذكرَ كيف كانت الروايةُ باللَّفظ، وكيف كانت الروايةُ بالمعنى، وأُحقِّقَ، وأضعَ الأمورَ في نصابها.

أذكرُ الشبهاتِ، وأردُّ عليها بلسان العصر، فاللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾، أي بلغتهم الثقافيَّة العِلميَّة، إلى جانب اللسان، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾.

إذًا يجب علينا أن نكتب أبحاثَ دينِنَا حسب الحاجة، وباللغةِ المعاصرة، ولردِّ الشُّبهاتِ المعاصرة.

تلا ذلك كلمةٌ بهذه المناسبةِ للأستاذ الدكتور أسامةَ الرفاعيِّ الذي تحدَّث عن لقائه الأوَّلِ بالشيخ عوَّامة في المدينة المنوَّرة في أوائل الثمانينات، وكيف أثَّر كتابُ الشَّيخ فيه، وكيف حفظَه الله بفضل ذلك الكتابِ.

ثمَّ شَرع ببيانِ خصائل الشيخِ وأخلاقِه، فذكر استواءَ حالِ الشيخ في مجالسه الخاصَّة والعامَّة، وذكر أنَّه كان عزيزًا في وقته شديدَ الانتباه له، دائمَ التَّرداد لمقولة:

الوقتُ كالسيف إن لـم تقطعْهُ قطعك، وتحدَّث عن لهفتِه على المخطوطات، وانتقادِه أشباهَ العلماء ممَّن تصدَّروا للعلم ولـم يأخذوا عن علماءَ متقنينَ قبلَهم. وأشاد بذكر العالـمَينِ الجليلَينِ الشّيخِ عبدِ الفتاح أبو غُدّةَ والشّيخِ عبدِ الله سراج الدّين رحمهما الله تعالى، كونَها أبرزَ شيوخِه.

ثـمَّ عرَّج على منهجه في تعليم الطُّلابِ، حيثُ كان يؤكِّد على ضرورة تدرُّبِ الطَّالب على صِغار المسائلِ قبلَ كبارِها، فمن مقالاتِه: غِذاءُ الكبارِ سُمٌّ للصغار.

كما بيَّن أنَّهُ كان يؤكِّد ضرورةَ التزامِ المذاهبِ الأربعةِ، وأنَّ الهدف من تخريج الحديثِ محاولةُ إثباتِه لا نفيه، وأنَّهُ لا بُدَّ عند تدقيقِ المسائلِ من مراجعة الأصولِ وعدمِ الاكتفاءِ بقولٍ لعالـمٍ واحد، ومن العودة للمصدرِ دون وسيطٍ قدرَ الإمكان.

وبيَّن أنَّ الشيخَ كان في غاية الدقَّةِ والصبر والجلَدِ على تحقيق الأقوالِ والنصوص، وأنَّهُ استخدم في تحقيقاته طريقتي النُّسخةِ الأصلِ والتلفيق، كلٌّ في موضعه.

وختم كلمتَه ببيان شدَّةِ اهتمامِ الشيخ بالأدب، وأنه كان يكرِّر: ما فاز مَن فاز إلّا بالأدب، وما سقط مَن سقط إلَّا بقلَّة الأدب، وأنَّهُ كان يحثُّ طلَّابَه على هذا الدعاءِ بعدَ الفجر: اللهـمَّ إنِّي أسألك علمًا نافعًا، وعملًا متقبَّلًا، ورزقًا حلالًا واسعًا.

ثمَّ كانت الكلمةُ للأستاذ الدكتور محمَّد حسَّان الطيَّان عضوِ مجمع اللغةِ العربيَّةِ بدمشق، الذي تحدَّث حولَ تكريمِ الأستاذ الدكتور فخرِ الدين قبَاوة، فقال: فإنَّنا نُكرِّم اليومَ علمًا من أعلام العربيَّة، وعالـمًا من علمائها، وأستاذًا من أساتيذِها، وفارسًا من فرسانها.. أبلى فأحسن البلاء، وأعطى فأكثرَ العطاءَ، وأحسنَ فأجاد الإحسان..

ثـمَّ توقَّف عند انتاجِه المباركِ قائلًا: وإنَّما يُعرَف العالِـمُ بنتاجه وما قدَّم فيه، ونتاجُ شيخِنا أعظمُ من أن يُحاط به في هذه العُجالة، وهو متنوّع تنوُّعَ معرفته بالعربيَّة ورسوخِ قدمِه فيها، ما بين تحقيقٍ وتأليفٍ، ونحوٍ وصرفٍ، ولغةٍ وأدبٍ، وتفسيرٍ وإعرابٍ، وبلاغةٍ وعروضٍ، ونشرٍ للدواوين الشعريةِ والمعلَّقاتِ الجاهليَّة، والنصوصِ الأدبيَّة، إنَّهُ النتاجُ الذي أحاط بعلوم العربيَّةِ وفنونِها، حتى لقد بلغ الثلاثمئة ما بين مجلَّدٍ وكتابٍ وبحثٍ ورسالةٍ ومقالٍ، منها مئةُ مجلَّدٍ على الأقَّل، والباقي بحوثٌ ومقالاتٌ.. فلا تكاد تجد فنًّا من فنون العربيَّة أو عِلمًا من علومها، لـم يشارِك فيه بتأليفٍ أو تحقيقٍ أو بحثٍ أو تحليلٍ أو درسٍ أو دراسةٍ أو تدريسٍ أو محاضرةٍ أو مجلس، وما أعظمَ ما جلس من مجالس.

وتحدَّث بعد ذلك عن تلامذته قائلًا: وأمَّا ما تخرَّج به من علماءَ، فهم أكثرُ من أن يُحصَون، وقد ملؤوا الدنيا علمًا وعربيَّةً، وحسبي أن أقول: إني لـم أرَ أخًا حلبيًّا – أو دارسًا في جامعة حلب – سواء كان باحثًا في العربيَّة، أو عالـمًا بها، أو أستاذًا فيها إلا وقد أفاد من علم الشيخ أو جلس في مجالسه، أو تَلْمَذَ له، أو نهل من معينه، ومن لـم يتخرَّج به فقد أفاد من كتبه ومؤلفاتِه وبحوثِه وتحقيقاتِه التي طبَّقت الآفاقَ، ونهل منها القاصي والداني، والعالمُ والمتعلِّمُ، والطالبُ والأستاذُ، والباحثُ والمحقِّق..

وختم بقوله: أسأل الله العليَّ القدير، أن ينسَأَ في عمر فضيلة الشيخِ الجليل فخر الدين وفخرِ العربيَّة، ويُـمتِّعَه به، ويمتِّعَه بالصحَّة والعافية، ويجزيَه عن هذا اللسان الشريفِ خيرَ ما جزى عالـمًا عن لغته، ومعلِّمًا عن طلبته، ومصلِحًا عن أمَّته..

وإني لأدعو من هذا المنبر طلبتَه وأحبابَه وأبناءَه إلى صنع كتابٍ تكريميٍّ له، يُحيي علمَه، ويُعلي ذكرَه، ويُحلِّل فنَّه وفكرَه، ويكون نواةً لرسائلَ جامعيَّةٍ تعلِّم الباحثين كيف تُدرَسُ العربيةُ..وكيف تُدَرَّس؟ وكيف تُحَقَّقُ المخطوطاتُ وكيف

تُخرَج؟ وكيف تُسلَك سُبُل العربيَّةِ وكيف تُذَلَّل؟ والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

بعد ذلك تلا الدكتور محمود شعبان كلمةً مكتوبةً أرسلها الأستاذُ الدكتور فخر الدين قباوة للمؤتمر أشاد فيها بما أوقدَتْه دارُ المخطوطاتِ في مدينة إستانبول من أنوار الإكرامِ للعلم والعلماء، وأنَّ هذا الإكرامَ من سُنن الخلفاءِ الكرام، ثمَّ عبَّر عن امتنانه وشُكره لهذا التَّكريم الذي فَهم منه أنَّه شُكرٌ لله تعالى، وصلاةٌ وتسليم على رسول صلَّى الله عليه وسلَّم، وتكريمٌ للجامعاتِ والمراكزِ العلميَّةِ مع إداراتها الراعيةِ لهذه المؤسَّسة، وخَصَّ منها جامعةَ السلطان محمدٍ الفاتحِ ومركزَ إيسام، وهو كذلك تكريمٌ للدَّولة الرَّاشدةِ التي أمدَّت الشّعبَ والإداراتِ والمؤسَّساتِ ومَن فيها بأنوار التَّوجيهِ والرُّؤيةِ الواعية، كما رأى فيه تكريمًا لمدينة استانبولَ التي ضمَّتْه إلى صدرها وأرضعَتْه لبانَ الجدِّ والعزم، ورفعتْهُ في ميادين التعليم، وتكريمًا لمؤسَّسة دارِ المخطوطات التي أعدَّتْ له هي ومعهدَ نورِ الهُدى العالمي ووقفَ السّلطان أحمدَ بإستنبول هذا الحفلَ البهيَّ.

وأضاف إلى ما لمحَهُ في هذا اللِّقاء من تكريمٍ للمسؤولينَ والضيوفِ والشيوخِ والأساتذةِ وجماهيرِ الطُّلاب من الشرق والغرب، الذين سمعوا له وقرؤوا عليه وحملوا عنه رسالةَ التَّبليغ.

ثمَّ استحضر الوطنَ المتمثِّل بالأمَّة الإسلاميَّة، فأشاد بما رآه من تيسير العلم، ومنحِ درجاتِ التَّعليمِ الدنيا والعليا، وفتحِ مجالاتِ التدريس والبحث والتأليفِ والتحقيقِ للشباب عمومًا وله خصوصًا، واستذكر طفولتَه ويُتمَه وفقرَه وجهلَه، وكيف آواهُ هذا الوطنُ الإسلاميُّ حتى صار شيخًا يقِرّ له المسلمون بالأستاذيَّة.

ثمَّ ذكر وصيَّته التي منها: جمعُ التراثِ الإسلاميّ، وتحقيقُه بلغاتِه الوطنيَّة ليطَّلعَ عليه أصحابُه، وترجمةُ ما في ذلك من العلوم وآلافِ المعارف والتجارب العمليَّة إلى اللغة العربيَّة ليطَّلعَ جميعُ المسلمين على ذلك.

وختم كلمتَه بتحميل المسؤوليَّة لمؤسَّسة دارِ المخطوطات للقيام بهذه الوصيَّة على قدر طاقتِها، ثمَّ دعا للجميع.

معرضان صاحَبا المؤتمرَ

من الفعاليَّات المهمَّةِ التي صاحبت المؤتمرَ السنويَّ للدار إقامةُ معرضَين تخصُّصيَّين لصور مخطوطاتٍ من القرن السابع، بالتعاون مع مؤسّسة علم في القاهرة، رُوعي في اختيارِها تنوُّعُ العلومِ التي تتناولها تلك المخطوطاتُ.

أُفتتِح المعرضُ في أوَّل يومٍ من المؤتمر في ساحة مدرسةِ السّلطانِ أحمدَ بإستانبول، وتمَّ نقلُه في اليوم الثالث من المؤتمر إلى المدرسة المُراديَّة في بورصة، حيث رافق جلساتِ المؤتمرِ هناك في يوميه الأخيرين.

تضمَّنت لوحاتُ المعرضِ الأوَّلِ خطوطًا لعلماءَ عاشوا في القرن السابعِ الهجريّ، من مخطوطاتٍ كتبوها بأيديهم، أو من توقيعاتِهم على مخطوطاتٍ من خلال خوارجِ النصِّ المتمثِّلة بالقراءات والسماعاتِ والإجازاتِ والوقفِ والتّملُّكِ والتّعليقات..، وتضمَّنت لوحاتُ المعرضِ الثاني صورًا لمخطوطاتٍ نُسِخت في القرن السابع الهجري.

توقيعُ سبع اتفاقيَّات تعاونٍ على هامش المؤتمر

إنَّ مشاركةَ عددٍ من مدراء المؤسَّساتِ التراثيةِ والعلميَّة ورؤساءِ الجامعات في المؤتمر كانت فرصةً لتوقيع اتفاقيَّاتٍ بينها وبين دار المخطوطات، فتمَّ توقيعُ اتفاقيَّةِ تعاونٍ وشراكةٍ مع جمعيَّةِ الراسخون في العلم الكويتيَّة، التي ستكون راعيةً للمؤتمر السنويّ للدار، ودارِ مرقاة الكويتيَّة التي أخذت على عاتقها طباعةَ كلِّ إصدارات الدار.

كما تمَّ توقيعُ اتفاقيَّةٍ مع جامعة الكويتِ ومركزِ الإمامِ الماتريدي في أوزبكستان، والأكاديميَّةِ الأوروبيَّةِ للثقافةِ والمعارفِ الإسلاميَّة بباريس.

أمَّا اتفاقيةُ الدارِ مع جامعة طرابلسَ فقد كانت بخصوص افتتاحِ برنامجِ دراساتٍ عليا لمرحلتي الماجستير والدكتوراه في جامعة طرابلسَ تحت مسمَّى: كليَّة الشريعة والدراساتِ الإسلاميَّة/ قسم الدراسات الإسلاميَّة/ شعبة علوم الخطِّ والمخطوط، وينفَّذ البرنامجُ في دار المخطوطاتِ بإستانبول.

كما تمَّ توقيعُ اتفاقيَّةٍ شاملةٍ للتعاون والشراكةِ مع معهد المخطوطاتِ العربيَّة في القاهرة التابع للمنظَّمةِ العربيَّةِ للتربية والثقافة والعلوم.